﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾ [سبأ: 45]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذِكرُ المانعِ الموجب لإذعانهم

لَمّا نفى في الآية السّابقة موجبَ طعْنِهم في الرَّسول ﷺ، واتِّهامهم إيّاه بالإفك والكذبِ والسِّحر؛ فإنَّه لم يأتِهم كتابٌ يدرسونه، وما أُرسل إليهم من نذيرٍ يحذرونَهُ؛ ذكرَ هنا المانع الموجبَ للإذعان في أنَّهم فعلوا ما فعلوا مِن التَّكذيب، وهو أبين طباعهم، وما بلغوا عُشْرًا صغيرًا ممّا كان مِن صفات أسلافِهم ممَّن هم أشدُّ قوَّةً منهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَلَغُواْ﴾: (بلغ) تدلُّ تصريفاتُه على الوصول إلى المكان المقصودِ بلوغُهُ، ومن معانيه الانتهاءُ إلى أقصى المراد من جهةِ المكانِ أو الزَّمان، أو ما كان من الأمور المقدَّرة، ومن معانيه أيضًا الوصولُ إلى قدر معيَّن[2]، ومعنى ﴿بَلَغُواْ﴾ في الآية الكريمة يحتمل أربعةَ أوجهٍ؛ هي العمل بما أمروا به، أو ما أعطوا من القوَّة والمال، أو ما بلغوا مِن شكرِ ما وُهبوا، أو ما أعطاهم مِنَ الحجَّة والبيان والبرهان[3].

2) ﴿مِعۡشَارَ﴾: (عشر) تدلُّ اشتقاقاتُهُ على العددِ المعلوم، ثمَّ يحمل عليه غيره[4]، ومعنى المعشارِ في الآية: "كالمرباع، وهما العشرُ والرُّبع، قال الأكثرون: معناه: وما بلغ هؤلاء المشركون عُشْرَ ما آتينا المتقدِّمين مِنَ القوَّة والنِّعمة وطول العمر"[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 527.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بلغ).
(3) الماوردي، النكت والعيون: 4/ 455.
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (عشر).
(5) النيسابوري، غرائب القرآن: 5/ 500.

3) ﴿نَكِيرِ﴾: (نكر) تدور تصريفاتُه على خلاف المعرفةِ الَّتي يسكنُ إليها القلبُ، ونَكِرَ الشَّيءَ، وأنكره: لم يقبلْهُ قلبُهُ، ولم يعترف به لسانُه، والباب كلُّه راجعٌ إلى هذا، فالنُّكر: الدَّهْيُ، والنَّكراء: الأمرُ الصَّعبُ الشَّديد، ونُكرُ الأمر نكارة، والإنكارُ: نفي الشَّيءِ وجحْدُهُ وردُّهُ، والتَّنكُّر: التَّنقُّل من حال تسرُّ إلى أخرى تُكره[1]، "فالنَّكيرُ مِنَ الإنكار الذي هو بمعنى الاستقباحِ والغضب مِن تكذيبِهم، والعقوبة تعبيرٌ عن هذا الغضبِ لازمةٌ له"[2]، ومعنى ﴿نَكِيرِ﴾ في الآية الكريمة: "تغييري ما كان بهم مِن نعمةٍ، وتنكُّري لهم عمّا كنتُ عليه مِنَ الإحسان إليهم"[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

هلّا رأيتُم نهايةَ المكذِّبين ممَّن كان قبلَكم، وهم أشدُّ منكم قوَّةً وأكثر نفيرًا

لقد كان من أمرِ الأمم السّابقة من القرون الخاليةِ، كقوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ وأضرابهم أن كذَّبوا الرُّسل والوحي، وكانوا في الدُّنيا أشدَّ بأسًا مِنَ العرب، وأكثر أموالًا، فقد هلكوا بسبب كفْرِهم، فكيف بكم أنتم؟ بل إنَّ أهلَ مكَّةَ مِنَ المشركين، ومن كان على شاكلتِهم لم يبلغوا بقوَّتهم وكثرةِ ما لهم عشر ما آتينا من قبلهم مِنَ القوَّة وكثرة المال، فلم يدفعْ عنهم عذابَ اللّه تعالى، ولا ردَّه، وأنَّه تعالى أهلك الأممَ السّالفةَ تدميرًا واستئصالًا، وهم أشدُّ منكم قوَّةً وعتادًا.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَكَذَّبَ﴾:

بيانُ علَّةِ التَّعذيب

الواو في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عاطفةٌ[4] لما بين الجملتين من التَّوسُّط بين الكمالين؛ لاشتراكهما في الخبريَّةِ، وما

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (نكر).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نكر).
(3) السجستاني، غريب القرآن، ص: 466.
(4) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 107.

بينَهما في التَّناسُب المعنويِّ، والمعنى: أنَّ أقوامًا سبقوا أهلَ مكَّة في التَّكذيب، وكانوا أشدَّ بطشًا، وأكثر عدَّة وعددًا وأموالًا، فأُهلِكوا، كقوم فرعونَ والنَّمرودِ وثمودَ وعادٍ[1]، ومَن كذَّب تكذيبَهم؛ نالَ جزاءَهُم.

دلالةُ التَّعبيرِ بالتَّكذيب ماضيًا في ﴿وَكَذَّبَ﴾:

تكذيبُ الرُّسُلِ دأبُ أكثَرِ الأمم

عبَّر بفعل التَّكذيب في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ للدِّلالةِ على شدَّة الجحودِ الصّادر مِنْهم وتكرُّره، وصيغ الفعلُ ماضيًا تأكيدًا لوقوعِهِ وتحقيقًا؛ وللإيماء إلى أنَّ ذلك كان من دأبِ الأمم التي أُرسل فيها الرُّسل، وأنَّه أمرٌ ليس بالمستحدَث؛ فإنَّ تكذيب الرُّسل والصّادقين سنَّة ماضية[2].

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿مِن﴾ في: ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾:

ما مِنْ أُمَّةٍ إلّا وفيها مكذِّبون للرُّسُلِ

عُبِّرَ بالقبليَّة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ مقرونًا قبلَها بـ﴿مِن﴾؛ للدِّلالةِ على الاستغراق[3]، أي: إنَّها تشمل جميعَ الأمم السّابقة من غيرِ استثناء، ومن ثَمَّ فإنَّ جميع الأمم الَّتي سبقت أمَّة محمَّد ﷺ كذَّبَت رسلَها، وفي ذلك مزيدُ تسليةٍ للرَّسول ﷺ.

نكتةُ حذفِ مفعول الفعل ﴿وَكَذَّبَ﴾:

فِعْلُ التَّكذيب ﴿وَكَذَّبَ﴾ يقتضي مفعولًا، وقد حُذِفَ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، أي: كذَّبوا الرُّسل، ونكتةُ حذفِه دلالةُ ما بعده عليه من قولِه تعالى: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي﴾[4].

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَمَا بَلَغُواْ﴾:

بيانُ اختلافِ حالِ المكذِّبين

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ حاليَّة[5]، والجملةُ بعدها حالٌ، والمعنى: ولقد كذَّب الذين مِن قبلهم، وهم في

(1) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 621.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 505.
(3) ابن الأثير، البديع في علم العربية: 1/ 246.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 229.
(5) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 533.

حالٍ لا تُقارن بحال مَن سبقهم مِنَ الأقوام، فكفّارُ قريشٍ لم يبلغوا عُشر ما أوتي جبابرةُ الأمم السّابقة مِن قوّةٍ تجتاح الأرضَ، وسلطانٍ يمتدُّ في الآفاق، ونعمةٍ تتدفَّق عليهم أنهارًا، وأعمار تطول حتّى تكاد تضاهي الدُّهورَ[1].

معنى (ما) في قوله: ﴿وَمَا بَلَغُوا۟﴾:

تكذيبُ الرُّسُلِ أعظمُ أسباب الإهلاكِ

(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ نافيةٌ[2]، والمعنى: لم يبلغ قومك من أهل مكَّةَ عُشر ما آتينا قبلهم من الأموال والقوَّة والسُّلطان ومع ذلك فقد أهلكناهم بالعذابِ الأليم حينَ كذَّبوا رسلنا[3]، فكيف بِكم أنتم، وقد قلَّت حظوظكم مِنَ الدُّنيا، وكفرتم باللّه ورسوله؟.

بيانُ مرجع الضَّمير في ﴿بَلَغُوا۟﴾:

تنوُّعُ المعاني باختلاف مرجعِ الضَّمير

الواو المتَّصلةُ بالفعل في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُوا۟﴾ في محلِّ رفعٍ على الفاعليَّة[4]، ومرجعُ ضمير الفاعل هذا يحتمل أن يكونَ كفّار قريش بأنَّهم لم يبلغوا مِنَ القوَّة والظُّهور، ويحتمل أن يكونَ راجعًا إلى الأمم التي تقدَّمت، ومضت[5].

نكتةُ إسنادِ البلوغ المنفيِّ إلى ضمير جماعتهم:

لا تُغني الكثرةُ شيئًا عن أهل الباطلِ

أُسْنِدَ فعلُ البلوغ المنفيِّ إلى ضمير الجمع من قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُوا۟﴾؛ لبيان أنَّهم على كثرتهم لم يبلغْ واحدٌ منهم ذلك المبلغَ، وهم أهلُ مكَّة مِن مشركي قريش، وسواهم مِن العرب[6]، ففيه توهينٌ وتوبيخ لهم، وأنَّ الكثرة والجمع لا يغني عنهم شيئًا إن كانوا سائرين في طريق الغيِّ والضَّلال.

(1) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 621.
(2) بهجت عبد الواحد، الإعراب المفصل: 9/ 362.
(3) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 95.
(4) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 621.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 424.
(6) القنوجي، فتح البيان: 11/ 206.

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿مِعۡشَارَ﴾:

المبالغَةُ في تحقير شأنِهم

﴿مِعۡشَارَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ مفعولٌ به للفعل (بلغ)[1]، والمعنى: لم يبلغ قومُك - يا محمَّد - عُشرَ ما أعطينا الأممَ السّابقةَ من قوَّة وسلطان وأموال وغيرها، بل ومن نِعَم أخرى لا تُحصى، فكيف بكم وقد أعطاكمُ اللّهُ من النِّعَم ما لم يعطِ غيرَكم[2]؟ والغرضُ من التَّعبير بلفظ ﴿مِعۡشَارَ﴾ الدِّلالةُ على المبالغة في التَّقليل[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بالموصول في: ﴿مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾:

تنوُّعُ نِعَمِ اللهِ تَعالى على الأُمم السّابقةِ

في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ استعملَ الاسمَ الموصول (ما) الدّالِّ على الإبهام والعموم وعدمِ التَّعيين[4]، وفي ذلك دلالةٌ على شموليَّة النِّعم الَّتي أُعطيت للأمم السّابقة؛ إذ يشير إلى كلِّ النِّعم دون حصرٍ أو تحديد، وهذا التَّعميمُ يعكس تنوُّع النِّعم وحجمها الَّتي وهبها الله سبحانه للأوَّلين "مِن طول الأعمارِ، وقوَّة الأجرام، وكثرةِ الأموال والأولاد، وتوالي النِّعم، والظُّهور في البلاد"[5].

بيانُ مرجِع الضَّمير في قوله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾:

اختلافُ المعاني لاختلاف مرجع الضَّمير

(هم) في قوله تعالى: ﴿مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ ضمير متَّصلٌ في محلِّ نصبٍ على المفعوليَّة للفعلِ (آتى)[6]، ومرجع الضَّميرِ يحتمل أن يكون كفّار قريش، بأنَّهم لم يبلغوا جزءًا يسيرًا ممّا جئتهم بهِ من النّور والآيات والبيِّنات، ويحتمل أن يكونَ راجعًا إلى الأمم الَّتي تقدَّمت ومضت بأن يشكروا النِّعمة، ويحمدوا المنَّة[7].

(1) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 107.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 416.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 310.
(4) خالد الأزهري، شرح التصريح: 1/ 317.
(5) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 504.
(6) بهجت عبد الواحد، الإعراب المفصل: 9/ 362.
(7) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 424.

موقعُ جملة ﴿وَمَا بَلَغُوا۟﴾ ودلالتها:

تقريبُ معنى التَّهديدِ وتعزيزُ هولِ التَّعذيبِ

قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ جملةٌ معترضةٌ[1]، سيقت لتقريب معنى التَّهديدِ الواردِ في الآية، فهي توضِّح أنَّ عقابَ مَن يخاطِبُهم سيكون أيسرَ مِن عقاب الأممِ الَّتي خلت[2]؛ لأنَّهم لم ينعموا بنِعَمٍ مماثلة، وبذلك فإنَّ هذه الجملةَ تعزِّزُ من هول العقاب المنتظر، وتجعل التَّهديدَ أكثرَ وقعًا في النُّفوس.

معنى (الفاء) في قولِهِ: ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾:

العطفُ بطريقِ التَّفصيلِ والتَّفسيرِ

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾ عاطفةٌ تكذيبَهم رسلَهُ تعالى على جملة التَّكذيب من قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بطريق التَّفصيل والتَّبيين والتَّفسير[3]، كالواردِ في قوله تعالى: ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ [القمر: 9].

ويجوز أن تكونَ الفاءُ للتَّفسير؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من المجمل، وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾ تفصيلٌ لذلك المجمل[4].

ويجوز في الفاء أن تكونَ سببيَّةً، فقد كذَّبوا بسبب عنادِهم وكفرِهم بالحقِّ[5].

دلالةُ التَّعبير بالتَّكذيب في ﴿فَكَذَّبُوا۟﴾:

توكيدُ التَّكذيبِ السّابق

التَّكذيبُ الواردُ في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾ دالٌّ على توكيد المعنى في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[6]؛ لبيان أنَّ هذه صفةٌ ذميمةٌ عبْرَ الأزمان، ويؤكِّد أنَّ الكفرَ والتَّكذيبَ سمتانِ مشتركتانِ بين جميع الكافرين، ممّا يعظم خطورةَ هذا الفعل ونتائجَهُ الوخيمةَ.

---

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 23/ 309.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 229.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 138.
(4) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 533.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 528.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 229.

بيانُ مرجعِ الضَّمير في ﴿فَكَذَّبُواْ﴾:

الضَّميرُ (الواو) في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي﴾ راجعٌ إلى الذين مِن قبلهم تناسقًا مع الضَّمائر في ﴿بَلَغُواْ﴾ و﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾[1]، والذي يشيرُ إلى الأمم السّابقةِ التي كذَّبت رسلها، وعاقبهم اللّهُ تعالى، وفي ذلك إيماءٌ إلى استمراريَّة سلوكِ الكفر والتَّكذيب عبرَ التّاريخ، فاللّه سُبحانه يربطُ بينَ مصيرِ الأمم الخاليَة، ومصير مَن يخاطبُهم مِن قريش؛ ليحذِّرهم من مصيرٍ مشابه؛ إذا ما استمرّوا على كفرِهم وتكذيبِهم؛ لأنَّ مَن كذَّب الرُّسلَ قبل قريش؛ عوقبوا، ومَن كذَّب بعدهم؛ سيلاقون المصير نفسَه.

التَّحذيرُ مِن سُلوك سبيل الكُفرِ والتَّكذيبِ

نكتةُ تَكرار التَّكذيب في الآية:

كُرِّر التَّكذيبُ في الآية، فقد ذُكِرَ أوَّلًا في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، وفي قولِهِ سُبحانَهُ: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي﴾؛ لأنَّ القصدَ في أوَّل الآية بيانُ صدور التَّكذيبِ منهم ومباشرتهم له وإقدامهم عليه، ثم جُعِل تكذيبُ الرُّسل في الموضع الثّاني مسبَّبًا عنه، كقول القائل: أقدم فلانٌ على أَنْ يَكْفُر، فكفَرَ بالرَّسول ﷺ[2].

تكذيبُ الرُّسل مسبَّبٌ عن إقدامهم على فعل التَّكذيب

ومن دلالاتِ تكرار التَّكذيب: أنَّ التَّكذيبَ الأوَّل دالٌّ على العموم، وهو تكذيبُ بالكُتُبِ المنزلة، والرُّسل المرسلة، والمعجزات الباهرة، وغيرها ممّا كان الواجبُ التَّصديقَ به، وأنَّ التَّكذيب الثّانيَ دالٌّ على الخصوص، وهو تكذيبُ الرُّسل[3].

التَّكذيبُ الأوَّلُ عامٌّ والثّاني خاصٌّ

دلالةُ التَّعبير بالرِّسالة وإضافتها في﴿رُسُلِي﴾:

عُبِّرَ بلفظ الرِّسالةِ في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي﴾؛ لأنَّ لفظها مُشْعِرٌ بالوحي الإلهيِّ، وحمل الأمانة، والتَّكليف الرَّبانيِّ، ممّا يجعل

تكذيبُ الرُّسل جريمةٌ عظيمة تستحقُّ العقاب الإلهيَّ

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 198.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 589.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 382.

تكذيبَ الرُّسل جريمةً عظيمة تستحقُّ العقابَ الإلهي، وأضافها الله ﷻ إلى الضَّمير العائد عليه سبحانه توكيدًا لذلك المعنى.

بلاغةُ الإيجازِ بالحذف في الآية:

مُعاجلةُ اللهِ تَعالى للمكذِّبين بالعذابِ

في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إيجازٌ بالحذف، فالجملةُ تحمل في طيّاتها تهديدًا صريحًا للمكذِّبين؛ إذ يشير إلى عاقبة تكذيبِ الرُّسل، وعصيان الأوامر، فهو على تقديرِ: فكذَّبوا الرُّسلَ، فأهلكناهم، فكيف كان نكيري وعذابي[1]؟ فأشار إلى سُرعة عقابِهم وعذابهم بعد تكذيب الرُّسل، فحَذْفُ فعلِ الإهلاك مُؤْذِنٌ بأنَّ العقابَ كان حتميًّا وسريعًا.

ويحتمل أن يكون الحذفُ عطفًا على تقديرِ: (فحين تمادوا في تكذيبِ رُسلي؛ أتاهم إنكاري تدميرًا واستئصالًا)[2].

معنى (الفاء) ودلالتها:

تأكيدُ الجُملة احترازًا من إعادَتِها

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ تدلُّ على أنَّ هذه الجملةَ وما قبلها في قوَّة الجملةِ الواحدة، فالفاءُ هنا مؤكِّدةٌ للفاءِ من قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي﴾ تأكيدًا لفظيًّا؛ احترازًا من أن تُعادَ الجملة إعادةً ساذجة[3]، يأباه النَّظم القرآنيُّ الجليل.

ويجوز أن تكونَ الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ فصيحةً، والمعنى: فماذا يكون حالهُم إن كذَّبوا الرُّسلَ؟ فيكون الجواب: أن يأتيَهُم إنكاري استئصالًا وتدميرًا[4].

دلالةُ (كيف) في الآية:

بيانُ عظمةِ عقابِ اللهِ تعالى

(كيف) في أصل وضعهِ في كلام العربِ مستعملٌ للسُّؤال عن الحال[5]، وقد وردَ لهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 310.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 304.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 230.
(4) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 533.
(5) ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد: 3/ 192.

استفهامًا عن الحال التي هم عليها آنئذٍ، وهو مستعملٌ في التَّقرير والتَّفظيع[1]، أي: كان إنكاري عليهِم عظيمًا فظيعًا مستأصِلًا.

دلالةُ التَّعبيرِ بالكون الماضي في الآية:

شدَّة عذابِهِ للمكذِّبين رسلَهُ كالجبلَّة والطَّبع

أورد فعلَ الكون ماضيًا في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ فإنَّه لَمّا كان تكذيبُهم الرُّسلَ سببَ هلاكهم، ومع ما بسط لهم مِنَ النِّعم، فلم يغنِ عنهم دفْع النِّقم؛ قيل للرّائي أو السّامع هذه الجملة الدّالَّة على شدَّة عذابِهِ التي هي له تعالى كالجبلَّة والطَّبع[2].

نكتةُ التَّعبير بـ ﴿نَكِيرِ﴾:

الإنكارُ حاصلٌ بالتَّدمير لا بمطلق التَّغيير

اسْتُعْمِل لفظُ النَّكير دون التَّغيير مثَلًا في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي: نكيري، ومعناهُ: إنكاري لفعلِهِم بالتَّدمير والاستئصالِ وتغييرِ المنكر حينما كذَّبوا رُسُلي[3]، فكلمة ﴿نَكِيرِ﴾ هنا لا تدلُّ على التَّغيير فحسبُ، بل تشير إلى عذاب أليم أصابهم بسبب جرمِهم، وهو عقابٌ يستحقّونه جزاءً لفعلهِم المنكرِ، بخلاف لفظ (تغيير)؛ فإنَّها تقتضي انتقالَ حالٍ إلى حالٍ أُخرى من غير استلزامِها العذابَ.

غرضُ الاستفهام في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾:

بيانُ عظمَةِ العذابِ للتعريض بالمكذِّبين

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ جملةٌ استفهاميَّة تحمل في طيّاتها معنى التَّعظيم والتَّأكيد على شدَّة العذابِ الذي أصاب الأممَ السّابقة وتفظيعُهُ، وليس استفهامًا باقيًا على أصلِهِ؛ إذ ليس المرادُ قطعًا: طلبَ العلم بشيء لم يكُن معلومًا مِنْ قبلُ، وجملة الاستفهام منزَّلةٌ منزلة التَّهديد الضِّمنيِّ لقريش على وجهِ التَّعريضِ؛ إذ تشيرُ إلى أنَّهم قد يتعرَّضون لعقاب نكير مماثلٍ إذا لم يتوبوا إلى الله

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 230.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 528.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 589.

سبحانه[1]، فالله تعالى يذكِّرهم بقصَّة الأمم السّالفة؛ ليكونوا عبرةً لهم، وليعلموا أنَّ عذابَ الله شديدٌ.

نكتةُ حذفِ الضَّمير في ﴿نَكِيرِ﴾:

تخفيفُ اللَّفْظِ مع تحصيلِ التَّناسُبِ الصَّوتيّ

حُذِفَ الضَّميرُ المضاف إلى لفظ ﴿نَكِيرِ﴾، والأصل فيه: (نكيري) بياءٍ بعد الرّاءِ المكسورَةِ[2]، وذلك لإرادَةِ التَّخفيف، مع الإبقاءِ على الكسرة للإيماءِ إلى المحذوف، ولتحصيل التَّناسُبِ اللَّفظيِّ بينَها وبين الفاصلة الرّائيَّة في الآيةِ قبلُ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ﴾[3].

بلاغةُ الكنايةِ في قوله: ﴿نَكِيرِ﴾:

﴿نَكِيرِ﴾: اسمٌ بمعنى الإنكارِ، أي: كيف كانَ إنكاري عليهم بعذابِ الاستئصالِ، ولازمُ ذلك: غضبُ الله تعالى عليهم المؤدّي إلى إيقاعِ العقابِ وتسليطِهِ عليهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البلوغ والوصول:

الوصولُ أعَمُّ مِنَ البلوغِ

البلوغُ أخصُّ مِنَ الوصول؛ إذ البلوغُ هو الوصولُ إلى منتهى القصد والغايةِ زمانًا أو مكانًا أو غيرَهُما، ولذا لا يقال: وصلتِ الثِّمارُ، ووصل أشده، ووصل الصَّبيُّ، واستُعْمِلَ فِعلُ البلوغِ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾؛ للدِّلالة على أنَّهم بعيدون كلَّ البُعد عن إدراكِ غايتهم.

الإنكار والتَّغيير والإنذار:

التَّغييرُ تحويلٌ، والإنذار تخويفٌ، والإنكار تغييرٌ يستتبع العقابَ

النَّكيرُ: هو إنكارُ الشَّيء جملةً وتفصيلًا، وهو في قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكارٌ مِنَ الله سبحانه، ويحمل في طيّاته

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 425.
(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 256.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 230.

معنى الشِّدَّة والعقوبة والعذاب لمن ارتكبه، "والنَّكير: الإنكارُ للأمر ... وإنكارُ اللّهِ للمُنكَرِ، يستتبعُ عقابَهُ وعذابه لمن وقع منه المنكرُ"[1]، وهو توكيدٌ على حُرمةِ الفعل وخطورته، أمّا التَّغييرُ؛ فهو إحداث تحوُّلٍ في الواقع، والتَّغييرُ قد يكون على السَّلبِ أو الإيجاب، فقد يتضمَّن عقابًا، وقد لا يتضمَّنه، وأمّا الإنذارُ؛ فهو التَّخويف من الإعلام بموضع الخوف، فإنَّ قولك: أُنْذِرْتُ بالشَّيء، أي: عَلِمْتُه، فحصلَ الاستعدادُ له[2]، فالإنذارُ يجمعُ بين إعلامِ الفرد بالخطر المحتمل، وبين تخويفهِ مِن عواقبه.

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 11/ 836.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 242.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والأربعون،
سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 46 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-99-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 46 : المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-99-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0986397 بتاريخ 2025/01/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»